

الهرمنيوطيقا الفلسفية
وأثرها في فهم القرآن

الشيخ أحمد مزهر السعد
جامعة اهل البيت / قم المقدسة

Philosophical hermeneutics and its impact on
understanding the Qur'an

Sheikh Ahmed Mazhar Al-Saad
Ahl Al-Bayt University / Holy Qom
Email: ahmedmalsaad@gmail.com

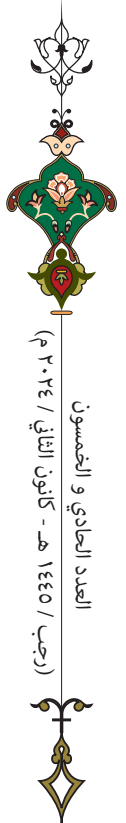
ملخص البحث

من النظريات التي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي ، نظرية الهرمنيوطيقا لتفسير النصوص الدينية في العهدين التوراة و الانجيل ، وهي عبارة عن فلسفة تفسير المعاني ، أو فن التأويل ، وتطوّرت النظرية عبر التأريخ حتى وصلت إلى ما يعرف بالهرمنيوطيقا الفلسفية كمنهج ، أو اتجاه لتفسير وتأويل كل ما يتعلّق بالنصوص والفنون ، ويعتبر مارتن هايدغر هو المؤسس لها ، كما أنّ غادمير هو الشخصية الثانية المتميّزة في عالم الهرمنيوطيقا الفلسفية ، الذي استطاع أن يحدث تغيرات كبيرة فيها .

وقد تبني بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين هذه النظرية ؛ لفهم القرآن تفسيراً ، وتأويلاً كمنهج جديد لاكتشاف خبايا النص القرآني .

في هذه المقالة نحاول معرفة النظرية عبر دراسة الجذور التاريخية لها ، مع استكشاف أهم خصائصها التي عن طريقها سوف نعرف مدى صلاحيتها لفهم النص القرآني من عدمه ، فهل تصلح النظرية كمنهج جديد لكشف معاني جديدة لم يتسنى للمناهج المعروفة بالكشف عنه ؟ هذا ما نحاول معرفته في هذه المقالة المختصرة .

الكلمات المفتاحية : الهرمنيوطيقا ، القرآن ، المنهج ، الفهم ، اللغة ، الإبلاغ .



Abstract

Among the theories that appeared in the sixteenth century AD the theory of Hermeneutics for the interpretation of religious texts in the two covenants which is a philosophy of interpretation of meanings or the art of interpretation and the theory developed throughout history until it reached what is known as the philosophical hermeneutics as a method or direction for interpreting and interpreting everything related to texts and arts ((Martin Heidegger)) is the founder of it and ((Gadamer)) is the second distinguished figure in the world of philosophical hermeneutics who was able to make great changes in it.

Some contemporary Islamic thinkers have adopted this theory to understand the Qur'an as an interpretation and interpretation as a new method for discovering the secrets of the Qur'an text.

In this article we try to know the theory by studying its historical roots and exploring its most important characteristics through which we will know the extent of its suitability to understand the Qur'an text or not. Is the theory suitable as a new method for discovering new meanings that the well-known methods have not been able to reveal? This is what we are trying to learn in this brief article.



بسم الله الرحمن الرحيم

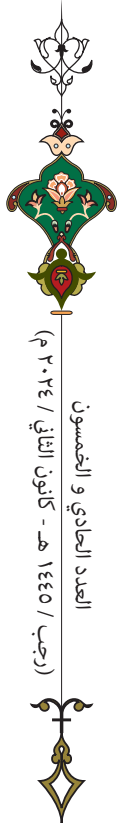
تمهيد ...

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ... وبعد

أعتنى الإنسان ومنذ القدم بقراءة أدق تفاصيل الوجود قراءة يقينية ؛ محاولا استكشاف أسرارهِ ، عبر الإجابة عن أسئلة تتعدى الظاهر وتكمن في الباطن ، فيمارس محاولة الفهم ، ومن جملة هذه الأمور التي نالت عنايته قراءة النصوص ، لاسيما الدينية منها ومحاولة إيجاد نظريات و طرق وقواعد للفهم ، ومن هذه النظريات التي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي نظرية (الهرمنيوطيقا) ، وهي اتجاه لتفسير المعاني ، أو فلسفة تفسير المعاني ، أو فن التأول ، وهو مصطلح يوناني المنشأ مأخوذ من كلمة (هرمس) الرسول الذي كان يفسر ويؤول رسائل الآلهة ، التي عادة ما تكون غامضة ومبهمه ، وبالتالي كان صلة وصل بين عالم اللاهوت والناسوت ، وكان أول طرح لمسألة الهرمنيوطيقا في مجال تفسير النصوص وفهمها بناءً على القصد الكامن فيها ، ثم توسعت دائرة مفهومها لتشمل كل ما له معنى ويقبل التفسير والتأويل ، وبناءً على هذا النوع من التفكير فإن كل ظاهرة ، طبيعية كانت أم إنسانية ، كالأشكال ، والصور ، والعلامات ، والعادات ، والتقاليد الإجتماعية ، والأقوال والأفعال ، والأصوات ، والمكتوبات ... قابلة للتفسير والفهم .

فالنظرية مرّت بتجاذبات وتقلبات في العالم الغربي ، أفرزت رؤى واتجاهات متنوّعة ، قد لا تكون منسجمة مع بعضها ؛ وبالمجمل فقد مرّت بثلاث مراحل ، الأولى ما قبل الكلاسيكية وتمتد من الإصلاحات الدينية الى القرن التاسع عشر ، وظهور شلاير ماخر ، والثانية ، الهرمنيوطيقا الكلاسيكية وتبدأ بشلاير ماخر وتنتهي بهایدغر ، والثالثة الهرمنيوطيقا المعاصرة ، وتبدأ بعد هايدغر ، وتعرف بالهرمنيوطيقا الفلسفية .

كان محور الهرمنيوطيقا الى زمان شلاير ماخر يدور حول تفسير النصوص الدينية المقدسة ، ولكنها توسعت في عهد شلاير ماخر ، إذ وضع قواعد لتفسير النصوص الدينية



وغيرها كالأدبية والقانونية ، ثم جاء دلّناي ليعمم قواعد الفهم لأبعد من النصوص المكتوبة، فربط ظاهرة الفهم بكافة مسائل العلوم الأنسانية ومجالاتها، وهكذا فعل هايدغر وأوضح ذلك برسالته (فن أو علم الفهم) .

وفي هذا المسار التاريخي لتطور الهرمنيوطيقا نلاحظ نزوحها التدريجي من الفهم الحتمي والقاطع للنصوص ، وحقائق المعرفة الى النزعة النسبية ، وهذه تعدّ من أهم سمات وخصائص الهرمنيوطيقا الفلسفية فضلاً عن خصائص أخرى سنذكرها من خلال البحث. ولعل هذه النزعة النسبية في فهم النصوص الدينية أدّت الى تقاطع مع المعتقدات، والقيم الدينية القطعية ، ومما يثير الأهتمام وضرورة البحث والتحليل ولوج عدد من المفكرين الذين يتبعون نهج الحدائثة من المسلمين في توظيف الهرمنيوطيقا الفلسفية في فهم وتفسير النصوص الدينية كالقرآن الكريم ؛ ليجعلوه اتجاها ، أو منهجا لفهم القرآن الكريم؛ فهل استطاع هؤلاء إثبات مدى فاعلية المنهج الهرمنيوطيقي في تقديم فهم منظم للنص الديني ؟

تباينت وجهات النظر بين من يراه الطريق الحصري والوحيد لفهم النص وإخراجه من حالة الجمود والتزمّت التي تحجب الحقيقة الدينية وتجعلها اجنبية عن العصر الحاضر، وبين منكر لأي دور فاعل ومنتج لهذا المنهج الذي نشأ ضمن ظروف خاصة انتجت تجارب الفلسفة الغربية .

في هذه المقالة ، سوف نبين عبر ثلاثة مطالب ملخص لما يتعلّق بالهرمنيوطيقا الفلسفية، وأثارها التفسيرية والتأويلية ، في المطلب الأول : سنبيّن عبر تعريف الهرمنيوطيقا لغة واصطلاحاً مع جذورها التاريخية ، والوقوف عند الفلسفية منها ، وفي المطلب الثاني: سنبيّن خصائص الهرمنيوطيقا الفلسفية أمّا المطلب الثالث : فسيكون في دراسة الآثار التفسيرية والتأويلية للهرمنيوطيقا الفلسفية على فهم القرآن الكريم ، وخاتمة في نتائج البحث .

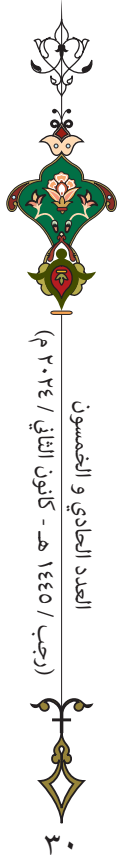


المطلب الأول : مباحث تمهيدية

الأول : في معنى الهرمنيوطيقا وجذورها اللغوية

إن ال(هرمنيوطيقا) مفردة إغريقية، مشتقة من ال(هرمنيون)، بمعنى التفسير. واستعمل الاسم هرمنيا بمعنى التفسير، قال الأستاذ أنطوني كرباي: إن جذور كلمة الهرمنيوطيقا تعود إلى الكلمة الإغريقية Hermeneuein التي تعني التأويل أو الترجمة، أو الإيضاح والبيان والشرح والتفسير.^(١) كما قام أرسطوطاليس بتعريف جزء من منطق أرسطو، تحت عنوان باري هرميناس، بمعنى في مجال التفسير، كما يرتبط لفظ الهرمنيوطيقا بكلمة هرمس، إله المراسلات في الأساطير اللاهوتية الإغريقية؛ لأن هرمس يقوم بمهمة إبلاغ وبيان، وإيضاح رسائل الآلهة، والحقائق البعيدة عن متناول فهم الإنسان، فيعمل هرمس على إبلاغ خطاب الآلهة بشكل يجعله قابلاً لفهم الإنسان، وعليه يجب أن يكون هرمس على علم كامل بلغة الآلهة من جهة، ولغات بني البشر من جهة أخرى؛ كي يتمكن من القيام بمهمته. وتتضح نسبة الهرمنيوطيقا إلى هرمس، من حيث إنها تسعى إلى بيان مسار وآلية فهم اللغة وقواعدها للمستفهمين، وتعمل على إيضاح مهمة هرمس في عملية فهم معاني الألفاظ والكلمات، إذن فاللغة ستكون وسيلة انتقال رسالة الآلهة.

وذكر ديفيد جاسير: وفي الأسطورة اليونانية كان هرمس رسول الآلهة يتميز بسرعه ورشاقته، وكان عمله هو أن ينقل إلى الناس في الأرض رسائل وأسرار آلهة أوليمبوس (olympus)، وكان هرمس قادراً بنعله ذي الأجنحة على تجسير الفجوة بين الإلهي والعالم البشري، ويصوغ بكلمات مفهومة ذلك الغموض القابع وراء القدرة البشرية على التعبير.... مهمة هرمس بناء جسر التفاهم بين العالمين، وجعل ما يبدو لا عقلي شيئاً ذي معنى وواضحاً للإذن البشرية^(٢).



(١) انظر: هرمنوتيك مدرن، مجموعة من المؤلفين، ٩.

(٢) مقدمة في الهرمنيوطيقا، ديفيد جاسير، ترجمة وجيه قانصو، ٢١.

الثاني : المعنى الإصطلاحي للهرمنيوطيقا

هناك الكثير من التعريفات للهرمنيوطيقا، وكل واحد منها يشير إلى مساحة معينة تختلف سعة وضيقا، وقد بين ريتشارد بالمر^(١)، هذه المعاني على النحو التالي : يذهب ريتشارد بالمر إلى الاعتقاد بأن لفظ الهرمنيوطيقا رغم الفهم الشائع في رجوعه إلى القرن السابع عشر الميلادي ، بيد أن آلية التفسير ونظريات التأويل الديني والأدبي والحقوقي تعود إلى العهود القديمة، بل هناك نسبة هرمنيوطيقية حتى بين العهد القديم والعهد الجديد، إلى الحد الذي يقوم فيه السيد المسيح عيسى عليه السلام بالالتفات إلى نبوءات الكتب وشرائع الأنبياء بشرحها لليهود. من هنا يمكن اعتبار علم الكلام في مقام المؤول والمفسر التاريخي للكتاب المقدس مساوقاً لعلم الهرمنيوطيقا .

لقد عرّف الهرمنيوطيقا بعدة تعريفات منها :

- ١- أكّد جون مارتين كلادنيوس (١٧١٠ - ١٧٥٩) إنّ العلوم الإنسانيّة تركز الى فن التفسير ، وقرر أنّ الهرمنيوطيقا هو الاسم الآخر لهذا الفن .
- ٢- يُعرف فردريك أغوست وولف ، في محاضرات عام (١٧٨٥-١٨٠٧) حول موسوعة البحوث الكلاسيكيّة ، الهرمنيوطيقا بأنّها : المعرفة بقواعد تعين على إدراك معاني الكلمات .
- ٣- ينظر شلاير ماخر (١٧٦٨ - ١٨٣٤) الى الهرمنيوطيقا بوصفها فن الفهم والإستيعاب ، وقد ركّز على قضية سوء الفهم ، وأكّد أنّ تفسير النصوص عرضة لسوء الفهم دائما ؛ لذلك يجب استعمال الهرمنيوطيقا كمجموعة قواعد ممنهجة للإحتراز من الوقوع في الخطأ ، ومن دون هذا الفهم لا سبيل إلى حصول الفهم^(٢) .
- ٤- ذهب وليم دلتاي ، (١٨٣٣ - ١٩١١) ، الى أنّ الهرمنيوطيقا علم يتولى تقديم مناهج للعلوم الإنسانيّة ، فالغاية القصوى للجهد الهرمنيوطيقي عنده هو الرفع من قيمة

(١) انظر: علم هرمنوتيك، ريتشارد بالمر، ٤٢ ٥٤ .

(٢) شبهة ورد فهم النص ، السيد هاشم الهاشمي .



• الهرمنيوطيقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... المصباح

ومكانة العلوم الإنسانية ومساواتها بالعلوم التجريبية .

٥- يعرف بول ريكور الهرمنيوطيقا في دراسته ، رسالة الهرمنيوطيقا : بأنها نظرية الفهم باعتبارها ممارسة ، في مجريات علاقتها بتفسير النصوص .

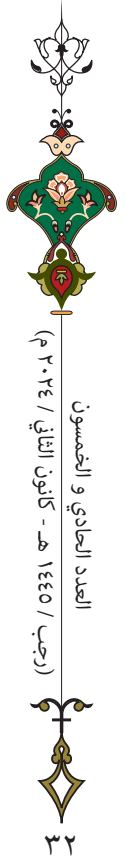
٦- ويعرّف ريتشارد بالمر الهرمنيوطيقا : هي الموافقة بتراث التأمل الفلسفي الألماني والفرنسي أخيرا حول ماهية الفهم understanding التي تطوّرت على يد شلاير ماخر ، دلثاي ، وهيدغر ، ويتبناها في الوقت الحاضر ، غادمر ، وشلاير ماخر (١) .

الثالث : المراحل التي مرّت بها الهرمنيوطيقا

١- الهرمنيوطيقا الكلاسيكية

يمكن أن نعدّ أول ظهور لعلم الهرمنيوطيقا في القرن السابع عشر، وإنه مرهون لدان هاور الذي نشر كتابه (الهرمنيوطيقا المقدسة أو منهج تأويل النصوص المقدسة) سنة ١٦٥٤ م ، وقد سعى في هذا الكتاب الى التمييز بين التفسير وبين علم الهرمنيوطيقا، فذهب إلى أن التفسير هو شرح بالفعل للنصوص، بينما الهرمنيوطيقا هي علم لتدوين القواعد والمناهج الحاكمة على التفسير ومن هنا، صار أساسا لتحوّلات الهرمنيوطيقا فيما بعد ، وفي الواقع يمكن عدّه أول شخص استفاد من لفظ الهرمنيوطيقا في عنوان كتابه (٢) .

وثمة شخصية أخرى تركت أثرا على تاريخ الهرمنيوطيقا هي شخصية الفيلسوف والأهوتي في القرن الثامن عشر مارتن كالدينوس، فقد كتب كتابا ؛ لأجل بيان أسس نظرية كاملة مرتبطة بالتأويل والتفسير (انتشر سنة ١٧٤٢م)، وسماه: مدخل إلى التأويل الصحيح للكلام العقلي والكتب العقلية (٣) .



(١) الفهم والتأويل واحجاج ، عز العرب لحكيم بناني، ٦ .

(٢) انظر: علم هرمنيوتيك ، ريتشرد بالمر ، ترجمة محمد سعيد كاشاني ، ٤٢ .

(٣) Books And Discourse Reasonable of Interpretation Correct the to Introduction (٣)

٢- الهرمنيوطيقا الحديثة

دخلت الهرمنيوطيقا الى ساحة جديدة عن طريق محاولات شلايرماخر؛ لذا يُعد هو مؤسس الهرمنيوطيقا الحديثة ، وعلى الرغم من وجود شخصيات كثيرة قد أثرت في سير ظهور الهرمنيوطيقا وتحولها، إلا أن شلايرماخر، ودلتاي هما العالمان المهّمان اللذان كان لهما عظيم الأثر في تشكّل الهرمنيوطيقا في هذه المرحلة ؛ لذا سوف نتعرض في هذا القسم للحديث عنهما فقط .

إذ لشلايرماخر ابتكاران خاصان: الأوّل : في تعريفه للهرمنيوطيقا حيث عرفها بأنها نظرية الفهم ، وبدأ بالسؤال التالي : كيف يمكن أن نفهم عبارة من كلام مقول أو مكتوب؟ ، والثاني : في تفسيره للفهم ، وقبل شلايرماخر كان الفهم الصحيح أمراً طبيعياً ورائجاً، إلا في بعض الموارد التي يكتنفها الإبهام والغموض ، أمّا هو فيعتقد أنّ سوء الفهم هو الأصل ، ويبدأ عمل الهرمنيوطيقا مع بداية كل فهم لأننا دائماً في معرض سوء الفهم ^(١) ، والشخصية الثانية المؤثرة في هذا المجال هي شخصية فيلهلم دلتاي ١٨٣٣ - ١٩١١ م ، وأهم ما قام به هو توسعة دائرة الهرمنيوطيقا لتشمل كل العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة ، أي كان يسعى للعثور على مبنى لكل فروع العلوم الإنسانيّة ، بحيث يكون مؤولاً لكل الأمور المرتبطة بالإنسان ، أعم من أن تكون سلوكاً ، أو أفعالاً تاريخية ، أو قوانين أساسية أو آثار فنية أو لغوية ^(٢) .

ويرى دلتاي أنّ عمله، هو في الواقع تكملة لما قام به شلايرماخر، وكان يحترمه كثيراً ، حتى أنه كتب كتاباً كبيراً بعنوان: حياة شلايرماخر . وأهم كتاب لدلتاي في مجال الهرمنيوطيقا هو رسالة صغيرة بعنوان: مصدر الهرمنيوطيقا وتكاملها، حيث كتبها سنة ١٩٠٠ م ^(٣)

(١) انظر : در آمدي بر هرمنيوتيك ، احمد واعظي ، ٨٣ .

(٢) انظر : علم هرمنيوتيك، ريتشارد باملر، ترجمة: محمد سعيد حنايي كاشاين، ١٠٩ .

(٣) انظر : ساختار وتأويل منت، بابك أحمددي، ٢ / ٥٣٠ .

٣- الهرمنيوطيقا الفلسفية

يمكن أن نعدّ القرن العشرين أعظم تحول للهرمنيوطيقا. فقد أدى البحث الهرمنيوطيقي في هذه المرحلة إلى ظهور اتجاهات متعددة في شتى المجالات المعرفية، وإلى قبيل هذه المرحلة كنا نعدّ الهرمنيوطيقا علم منهج التفسير، أو نظرية الفهم لكن منها فصاعداً، لن تهتم الهرمنيوطيقا الفلسفية بهذه الهيكلية العلمية، بل سوف تخطو أبعد من ذلك، حيث صار يدعى أن الهدف الأساس للهرمنيوطيقا هو التحليل الوجودي للفهم نفسه.

وقد استطاع مؤسس الهرمنيوطيقا الفلسفية مارتن هايدغر ١٨٨٩م - ١٩٧٦م أن يفتح بواسطة تأملاته العميقة آفاقاً جديدةً نحو الهرمنيوطيقا المعاصرة، وصارت كتبه الصعبة والمغلقة، ولا سيما كتابه المشهور الوجود والزمان^(١)، أساساً فكرياً لأنصاره في الهرمنيوطيقا الفلسفية.

وقد كان يعتقد أن الهرمنيوطيقا ليست مرتبطة بفن التأويل، كما أنّها ليست التأويل نفسه، بل هي سعي للوصول الى معرفة ماهو التأويل^(٢)، أي إنّ رسالة الهرمنيوطيقا متمحورة حول الفهم والتأويل نفسها.

والشخصية الثانية المتميزة في الهرمنيوطيقا الفلسفية هي غادامير، حيث استطاع عبر أتباع هايدغر ومنهجه أن يحدث تغييرات عظيمة في الهرمنيوطيقا، وعلى الرغم من وجود نقاط اشتراك أساسية بين هرمنيوطيقا هايدغر، وهرمنيوطيقا غادامير، إلا أنّ غادامير أبدى اتجاهات جديدةً ومختلفة، انعكست في كتابه المهم (الحقيقة والمنهج)^(٣).

ومن الخصائص المهمة لغادامير أنّ نظرياته قد أثرت عملياً على المجالات المعرفية المختلفة كالبحث الديني، ونظرية المعرفة الدينية، ثم صارت الإتجاهات الهرمنيوطيقية لغادامير مباني معرفية موجهة للكثير من مفكّري الغرب، وقد نتج عن الهرمنيوطيقا الفلسفية عدّة أمور، من قبيل: النسبية المعرفية، التعددية الدينية، وتعدد القراءات عن

(١) Being And Exisence.

(٢) انظر: ساختار وتأويل منت، بابك أحمددي، ٥٦٢ / ٢.

(٣) Method And Truth

الدين .

وقد أدت نشأة الهرمنيوطيقا الفلسفية الى تحوّل مهم في إتجاهات الهرمنيوطيقا ، وإلى تغيير جوهرى في مفهوم الهرمنيوطيقا ، فلم تكن الهرمنيوطيقا الفلسفية تبحث عن قواعد التأويل، ولا تريد بيان منهج لكل العلوم الإنسانية، بل كانت بصدد تحليل ماهية الفهم نفسه، وتعدّه الهدف المحوري للهرمنيوطيقا .

وانطلاقاً من أنّ الفهم والتأويل جهات أساسية في وجود الإنسان ، يرى هايدغر ، الهرمنيوطيقا تحليل لظاهر الفهم الموجود عند الإنسان ، وبحسب عبارته : الهرمنيوطيقا هي (دزاين)^(١)، وقد تابع غادمير رسالة هايدغر ، ورأى أنّ الهرمنيوطيقا نوع من النظرية الوجودية للفهم ، بناءً على اعتبار وجود الفهم لغة من اللغات^(٢) ، ويعتقد هايدغر في مجال السؤال عن الوجود ، إنّ أول وظيفة هي تحليل الوجود الإنساني أو الدزاين ، ومن الواضح من تعاريف هايدغر وغادمير أنّ الهرمنيوطيقا الفلسفية أدت الى تحوّل عميق في أصل النظرة الى الهرمنيوطيقا والمراد منها ، ففي هذه النظرة الجديدة لا يمكن أن نقول بأنّ الهرمنيوطيقا أداة ، وقواعد لأجل الوصول إلى المراد الجدّي للمؤلف أو المتكلم بل صار محور هذا العلم هو تحليل وجود الفهم نفسه^(٣) .

٤- الهرمنيوطيقا المعاصرة .

بعد غادمير ظهرت اتجاهات مخالفة لهايدغر وغادمير ، على الرغم من المحافظة على بعض النقاط التي طرحها ، فبعضهم مثل هابرماس^(٤) ، وريكور ، قبل بعض ادعاءات الهرمنيوطيقا الفلسفية وخالفوا بعض جهاتها ، والبعض الآخر ، مثل إميلو بتي ، وهرش ،

(١) Dasein ، وهي كلمة المانية مركبة من da بمعنى " هناك " ، و " sein " بمعنى " الوجود " ، فأصبح معنى هذه الكلمة " الوجود هناك " .

(٢) انظر : علم هرمونيك ، ريتشارد باملر ، ترجمة : محمد سعيد حنايى كاشاين ، ٥١ ، ٥٢ .

(٣) مفهوم الهرمنيوطيقا ، ماهيته ، آياته ، ومذاهبه الفلسفية ، صفدر الهى راد ، مجلة الاستغراب ، العدد

١٨ ، ١٩

(٤) كان من علماء الإجتماع الذي اهتم بنقد الهرمنيوطيقا الفلسفية .



• الهرمينوطيقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... المصباح

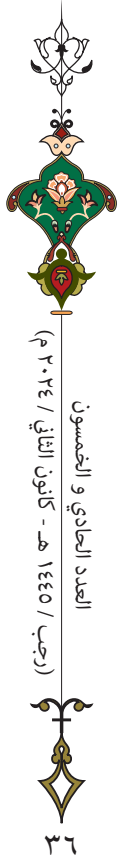
هاجما الهرمينوطيقا الفلسفية ، عن طريق طرح الهرمينوطيقا الموضوعية ، ولقد أظهر بيتي ردة فعل نحو الاتجاه الذهني والنسبي للهرمينوطيقا الفلسفية لهايدغر ، وغادمير ، وطرح نظرية عامة في التفسير ، يمكن على أساسها ندرك مقصود المؤلف^(١) ، وأما هيرك هرش ، فهو من ناقدي الهرمينوطيقا النسبية ، ومن أنصار الهرمينوطيقا العينية ، أو الموضوعية ، وله كتب مشهورة منها : الإعتبار في التفسير^(٢) ، وأهداف التفسير^(٣) .

المطلب الثاني : خصائص الهرمينوطيقا الفلسفية لفهم النصوص

تميّز منهج الهرمينوطيقا الفلسفية بخصائص وسمات تميّزه عن غيره من مناهج الهرمينوطيقا ، وخاصة بعد أن تحوّل عن طابعه التقليدي ، الذي كان يعني إيجاد قواعد لفهم الكتاب المقدّس ليشمل تفسير كل نص أدبي وإبداعي في كافة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، التي أصبحت تُعرّف بأنّها فن قراءة النصوص ، أي فن تفكيك النصوص وتحليلها على أساس أنّ الكلام له معنى ظاهر جلي ، ومعنى خفي تدل عليه النصوص عبر رمزيتها ، ومن أهم هذه الخصائص والسمات هي :

١ - النص المفتوح

بمعنى لا نهائية النص ، وانفتاح دلالاته لعدد لا نهائي من التفسيرات والتأويلات ، إذ أنّ الفهم عبارة عن تركيب وامتزاج أفق معاني المفسّر ، وأفق معاني النص ، ومع كل تحوّل في المفسّر وأفقه تتاح إمكانيّة جديدة للتركيب والامتزاج وولادة فهم جديد ، إذ لا نهاية لاحتمالات التراكيب ، وإمكان القراءات والتفاسير المختلفة للنص ، وكل قاري يظن أنّه أقرب للصواب والحقيقة ، فلا مجال لرأي واحد ، ولا لكلمة أخيرة عن معنى النص ، فكل قراءة هي قراءة محتملة ، وبهذا يتعدد الحق بتعدد القراءات .



(١) See :Jean Grondin Introduction to Philosophical Hermeneutics p126
(٢) Interpretation ValidityIn
(٣) Interpretation of Aims

٢- لا أهمية لقصد المؤلف ومراده .

ليست الغاية من تفسير النص القبض على مقصد المؤلف، فنحن نواجه النص وليس المؤلف، وما المؤلف إلا أحد قراء النص، ولا يتميز عن القراء بشيء، فالقاريء له الحق في الإبداع في قراءته للنص دون سلطة من أحد حتى لو كان المؤلف نفسه، فالمؤلف قد أدى دوره وانقضى، وحن دور القاريء، في الخوض بعملية استكشافية، يستكشف عبرها كل إشارة من الممكن أن تخفي دلالة معينة .

٣- الفهم الموضوعي للنص .

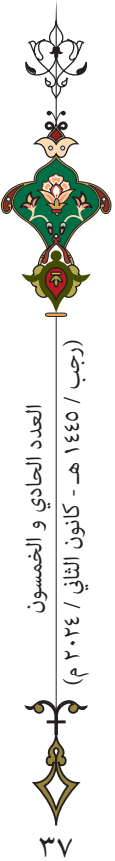
بمعنى أنّ الفهم المطابق للواقع، غير ممكن؛ لأنّ العنصر الباطني أو ذهنيّة المفسّر، وقبلياته شرط لحصول الفهم، فخلفيات المفسّر تنعكس بشكل حتمي على فهم قاريء النصوص، وعلاقة النص بالقاريء، وبالنصوص الأخرى، وبالثقافة والبيئة، فالمؤلف في بنائه للنص يحاكي نصوصاً أخرى، والقاريء حين قراءته للنص يستحضر نصوصاً أخرى، فالتناص قائم على التعدد في منابع الدلاليّة للنص التي تنتج عن إختلاف بيئة الكتابة عن بيئة القراءة والتلقي .

٤- لا يوجد معيار لفحص التفسير الصحيح من غيره .

لا يوجد أساساً شيء اسمه تفسير صحيح؛ لأنّ المعيار المعروف في تقييم التفسير من كونه صحيحاً أو لا، هو كشف مراد المؤلف، بينما الهرمنيوطيقا الفلسفيّة ترى أصالة المفسّر، ولا تتوخى معرفة قصد المؤلف، وبما أنّ مفسري النص كثر، ولهم على مر الزمان آفاق متعددة مختلفة ستظهر فهوم للنص متباينة، لا يصح اعتبار أي منها أفضل من الآخر .

٥- الفراغات بين السطور .

إنّ المعنى لا يتوقف عند حدود الألفاظ، بمعنى أنّ القاريء لا بد أن يتحرر من سلطة السطور، لينصت الى ما تبوح به الفراغات ما بين السطور، وهو المعنى الخفي للمعنى الظاهر، وبعبارة أخرى فإنّ عملية التفسير بمنهج الهرمنيوطيقا الفلسفيّة، يعتمد على



حل شفرة المعنى الباطن عبر المعنى الظاهر ، وكشف مستويات المعنى المتضمنة في المعنى الحرفي^(١).

المطلب الثالث : آثار الهرمنيوطيقا الفلسفية في فهم القرآن

نحاول في هذا المبحث أن نجيب على سؤال غاية في الأهمية ، وهو هل للهرمنيوطيقا الفلسفية آثار تلقي بظلالها على فهم القرآن ، تفسيراً ، وتأويلاً ؟ بمعنى آخر هل يمكن أن نطبّق الهرمنيوطيقا الفلسفية على النصوص الدينية ، ومنها القرآن الكريم ، من دون أن تفقد النصوص معانيها الثابتة والمقدّسة ؟

لقد سلّطنا الضوء على خصائص وسمات الهرمنيوطيقا الفلسفية ، والتي عن طريقها سوف نعرف تأثيرها على فهم القرآن الكريم ، فحتى تكتمل الصورة لا بد من معرفة الآثار على مستوى التفسير والتأويل ، فيقع البحث من جهتين الأولى : آثار منهج الهرمنيوطيقا الفلسفية في تفسير القرآن ، والثاني : آثارها في تأويل القرآن .

الأول : آثار الهرمنيوطيقا الفلسفية في تفسير القرآن

معنى التفسير :

لغة : اشتقت مفردة (تفسير) في اللغة من مادة (فَسَر) بمعنى بيّن وأوضح^(٢) ، وأزاح الستار وكشف الغطاء^(٣) ، وهذا يعني أن مفردة (فسر) تعني : الإيضاح وإزاحة الستار^(٤).

ومن قال أن أصلها من مفردة (سَفَر) وهي مقلوبة عنها ، وكلاهما يحمل معنى الكشف وإزاحة الستار^(٥) ، إلا أنه إزاحة الستار في الموارد المادية التي تدرك بالباصرة ، مثلما تقوم المرأة بإزاحة الخمار عن وجهها ، أسفرت عن وجهها ، ولا يُقال : فسرت المرأة

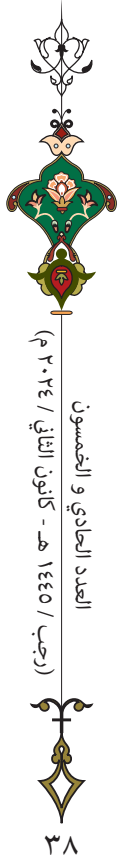
(١) انظر: قراءة النص القرآني على ضوء المنهج الهرمنيوطيقي - نصر حامد أبو زيد انموذجا ، بالطري تاج- عباس مصطفى، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، العدد ٧، ٢٠١٧ ، ١٠-٥.

(٢) المصباح المنير ، مادة فسر ، ٤٧٢

(٣) التحقيق في كلمات القرآن ، ٨٦ / ٩

(٤) تاج العروس ، ٣٤٩ / ٧

(٥) سه مقالة در تأريخ تفسير ، ١٢



عن وجهها^(١).

اصطلاحاً: هو بيان معاني الآيات القرآنية^(٢)، يقول الزركشي: هو علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه^(٣)، وقال العلامة الطباطبائي: هو بيان معاني الآيات القرآنية، والكشف عن مقاصدها، ومداليلها^(٤).

والنتيجة لا يُقال للقراءة، والتجويد، والترجمة، والتدبر، وتوضيح الفاظ المتكلم، وشرح الألفاظ غير القرآنية تفسيرا^(٥)، واعترف المستشرقون بأن مصطلح تفسير، وإن كان بالإمكان استعماله في شرح الكتب المقدسة، إلا أنه إذا جاء مطلقاً من دون قيد ينصرف إلى تفسير القرآن^(٦).

وبما أن القرآن كتاب هداية، سواء من الآيات العقدية التي تتحدث عن وجود الخالق، وعظمته، وصفاته، ومخلوقاته، أو التي تتحدث عن الأمور الغيبية، كالجنة، والنار، والملائكة، والجن، أو الآيات التي تتحدث عن الأقوام السالفة، وقصص الأنبياء، أو الآيات التي تتحدث عن الأحكام، وغيرها، كل ذلك لا بد لنا فيه من السعي لإحراز القصد؛ لأن إحراز الهداية موكول لإحراز القصد وإلا سينتفي الغرض وهو الهداية، فالإخبارات الغيبية لا يعرفها إلا الله تعالى، والإنشاءات كالأوامر والنواهي، ملاكاتها بيد الله وبالتالي لا بد من إحرازها عن طريق الأدوات الطبيعية العقلية لفهم ظواهر النص، والبحث عن القرائن إن وجدت، لنقف على المعنى النهائي الذي نطمئن له، وهذا هو المقصود بمراد المتكلم.

أمّا بالنسبة لاتجاه الهرمنيوطيقا الفلسفية وفقاً لما قرناه في بحث خصائصها وسماتها

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ١ / ١٣

(٢) المدخل إلى تاريخ التفسير والمفسرون، ٣١

(٣) البرهان في علوم القرآن، ١ / ١٣

(٤) الميزان، ٤ / ١

(٥) المدخل إلى تاريخ التفسير والمفسرون، ٣١

(٦) المصدر نفسه

• الهرمينوطيقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... المصباح

فإنَّ قصد المؤلف لا أهميَّة له ، فليست الغاية من تفسير النص القبض على مراد المؤلف ، فنحن نواجه النص وليس المؤلف ، وما المؤلف إلاَّ أحد قراء النص ، ولا يتميِّز عن بقية القراء بشيء ، فالقاريء له الحق في الإبداع في قراءته للنص دون سلطة من أحد حتى لو كان المؤلف نفسه ، فالمؤلف قد أدَّى دوره وانقضى ، وحن دور القاريء ، في الخوض بعملية استكشافية ، يستكشف فيها كل إشارة من الممكن أن تخفي دلالة معينة .

والنتيجة سنكون أمام نص أجنبي بشري لا ديني يشارك فيه المؤلف (الله تعالى) علومنا ، وخبراتنا فخلقيات المفسر تنعكس بشكل حتمي على فهم قاريء النصوص ، فعلاقة النص بالقاريء ، وبالنصوص الأخرى ، وبالثقافة والبيئة . فالمؤلف في بنائه للنص يحاكي نصوصاً أخرى ، والقاريء حين قراءته للنص يستحضر نصوصاً أخرى ، فالتناص قائم على التعدد في المنابع الدلالية للنص التي تنتج عن إختلاف بيئة الكتابة عن بيئة القراءة والتلقي .

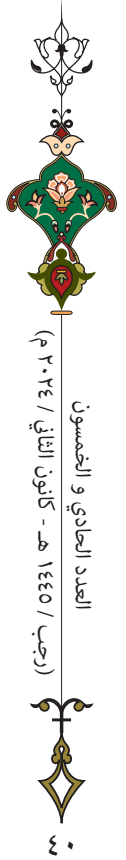
وبالتالي لا يمكن أن ندَّعي بأن الهرمينوطيقا الفلسفية ممكن أن تسمي نفسها اتجاهها نفهم عبره النصوص القرآنية من دون المساس بقدسيَّتها والخروج عن ثوابتها .

هذا اذا قلنا بأن التفسير هو : علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيِّه محمد صلى الله عليه وآله ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه ، وحكمه ، كما ذهب الزركشي ، أو كما ذهب الطباطبائي : هو بيان معاني الآيات القرآنية ، والكشف عن مقاصدها ، ومداليلها ، أمّا إذا قلنا بأن التفسير يأخذ معنى أوسع يشمل التأويل كذلك كما ذهب صدر الدين الشيرازي^(١) ، فحينئذ سنحاول دراسة آثار الهرمينوطيقا الفلسفية على تأويل القرآن ، كما سيأتي .

الثاني : آثار الهرمينوطيقا الفلسفية على تأويل القرآن

معنى التأويل :

لغة : أول : ابتداء الأمر وانتهائه ، أمّا الأوّل : فهو مبتدأ الشيء...ومن هذا الباب



(١) فلسفة التأويل عند صدر الدين الشيرازي ، ١٥٥

تأويل الكلام ، وهو عاقبته وما يؤول إليه ، وذلك قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾^(١) :
ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم^(٢) .

وقال ابن منظور : وأول الكلام وتأوله : دبره وقدره ، وأوله وتأوله : فسره ، وقوله عز وجل ﴿ وَمَا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ ﴾^(٣) ، أي لم يكن معهم علم تأويله ، وقيل : معناه لم يأتهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة وذكر كلام ابن الأثير : هو من آل الشيء يؤول إلى كذا ، أي رجع وصار إليه ، والمراد بالتأويل ، نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك اللفظ^(٤) . وقال الراغب : التأويل : من الأول أي الرجوع إلى الأصل ، ومنه الموثل للموضع الذي يُرجع إليه ، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو فعلا ، والأول : السياسة التي تراعي مآلها^(٥) .

اصطلاحا : للمسلمين اتجاهان في فهم التأويل ، الإتجاه الأول : أنه من مقولة المعنى والمفهوم ، والإتجاه الثاني : أنه من الأمور العينية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم ، أو موعظة ، أو حكمة ، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها^(٦) .

الإتجاه الأول : التأويل من مقولة المعنى والمفهوم

وينظوي تحت هذا الإتجاه نظريتان :

الأولى : أن المراد من التأويل هو التفسير .

وذكر العلامة الطبطبائي سبعة آراء^(٧) ، هي في الحقيقة من شعب هذه النظرية^(٨) وأوردوا على هذه النظرية ، إن أقل ما يلزمها هو أن تكون بعض الآيات القرآنية لا يُنال

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٣

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ١ / ١٦٠

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣٩

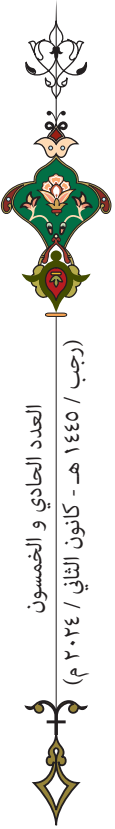
(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، ١ / ٢٦٤

(٥) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ٣١

(٦) انظر الى تأويل القرآن ، كمال الحيدري ، ٢١

(٧) الميزان في تفسير القرآن ، ٣ / ٤٦

(٨) انظر الى تأويل القرآن ، كمال الحيدري ، ٢١



الهرمنيوطبقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... **المصباح** •

تأويلها عامة الأفهام ، والحال ليس في القرآن آية غير قابلة للفهم ، بل القرآن ناطق أن الله إنما أنزل كتابه ليُعلم ويُفهم ويُتفقه ويُتدبر ، قال تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) (٢).

الثانية : المراد من التأويل : المعنى المخالف لظاهر اللفظ

وهذا المعنى هو الشائع في عرف المتأخرين ، وهو : صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترب به ، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عنه في أصول الفقه ومسائل الخلاف ، فإذا قال احدهم هذا الحديث ، أو هذا النص مؤول ، أو هو محمول على كذا ، ويقول الآخر هذا نوع تأويل يحتاج الى دليل (٣).

وأشكل على النظرية : أن لازمها وجود آيات في القرآن أريد بها معان يخالفها ظاهرها الذي يوجب الفتنة في الدين بتنافيه مع المحكمات ، ومرجعه إلى أن في القرآن اختلاف بين الآيات لا يرتفع إلا بصرف بعضها عن ظواهرها إلى معان لا يفهمها عامة الأفهام ، وهذا يبطل الإحتجاج الذي في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٤).... فالآية بلسان احتجاجها صريحة في أن القرآن معرض لعامة الأفهام ومسرح للبحث والتأمل والتدبر ، وليس فيه آية أريد بها معنى يخالف ظاهر الكلام ، ولا أن فيه أحجية وتعمية (٥).

الإتجاه الثاني : التأويل من الأمور العينية

يوجد في هذا الإتجاه قولان :

الأول : وحاصله : أن التأويل ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ ، بل هو الأمر العيني الذي يعتمد عليه الكلام ، فإن كان الكلام حكما إنشائيا كالأمر والنهي ، فتأويله تحقق

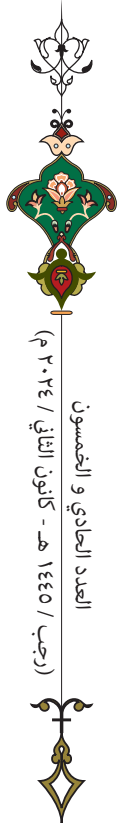
(١) المصدر نفسه ، ٢٩

(٢) التفسير الكبير ، ابن تيمية ، ٢ / ١٠٨

(٣) تأويل القرآن النظرية والمعطيات ، كمال الحيدري ، ٢٣

(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٢

(٥) الميزان في تفسير القرآن ، الطبطبائي ، ٣ / ٤٧



المخبر به ، وإن كان الكلام خبريًا ، فإن كان إخبار عن الحوادث الماضية كان تأويله الحادثة الواقعة في ظرف الماضي نفسها ، كآليات المشتعلة على أخبار الأنبياء ، والأمم الماضية فتأويلها القضايا الواقعة في الماضي نفسها ، وإن كان إخبار عن الحوادث والأمور المستقبلية فهو على قسمين : فإما أن تناله الحواس ، أو تدركه العقول ، فتأويله ماهو في الخارج كقوله تعالى ﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾^(١) ، وإن كان من الأمور المستقبلية الغيبية التي لا تنالها الحواس ، ولا تدرك بالعقول ، كالأمر المرتبطة بيوم القيامة ، أو كان مما هو خارج من سنخ الزمان كصفات الله تعالى وأفعاله فتأويلها حقائقها الخارجية نفسها ، وهذا القسم أي ما كان مرتبط بيوم القيامة أو صفات الله تعالى وأفعاله لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم^(٢) .

الثاني : ما ذهب اليه الطباطبائي

قال العلامة الطباطبائي: فسّر قوم من المفسرين التأويل بالتفسير وهو المراد من الكلام... وقالت طائفة أخرى أنّ المراد بالتأويل هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ... وهذا المعنى هو الشائع عند المتأخرين كما أنّ المعنى الأوّل هو الذي كان شائعاً بين قدماء المفسرين...^(٣) واستنتج العلامة بعد ذكره وتفنيده لكل الآراء، ما يلي:

إنّ الحقّ في تفسير التأويل أنّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم ، أو موعظة أو حكمة، وأنّه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يُحيط بها شبكات الألفاظ ، وإنّما قيدها الله تعالى بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب فهي كالأمثال تُضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع... ولم يستعمل القرآن لفظ التأويل... إلا في المعنى الذي ذكرناه^(٤).

(١) سورة الروم ، الآيتان : ٢-٣

(٢) انظر تأويل القرآن النظرية والمعطيات ، كمال الحيدري ، ٣٧

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ٣ / ٤٤ و ٤٩

(٤) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ٣ / ٤٩



الهرمنيوطيقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... المصباح

ومن الشواهد على هذا الاستعمال لكلمة التأويل ما ورد في قصتي موسى والخضر ويوسف وما شابه ذلك.

ففي قصة النبي يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١)

وبعد مضي سنوات طويلة وحوادث كثيرة، جاء تأويل هذه الرؤيا في السورة بالشكل التالي: ﴿وَرَفَعَ أَبَوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾.

فما رآه النبي يوسف في الرؤيا يعود إلى سجود أبيه وأمه وإخوته، وهذا التأويل والرجوع من قبيل رجوع المثل إلى الممثل والواقع الخارجي.

ويعتقد العلامة الطباطبائي أن العلم بالتأويل لا يختص بالله تعالى، وذلك استناداً إلى أدلة من الآيات والروايات .
فمن الآيات القرآنية:

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢) ولا شبهة في ظهور الآية في أن المطهرين من عباد الله يمسون القرآن الكريم، وهم آل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣).

ومن الروايات:

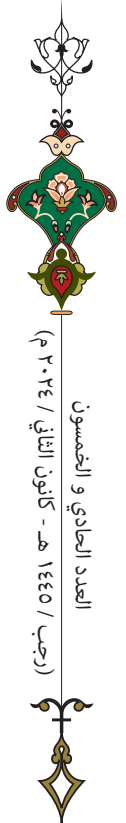
عن بريد بن معاوية قال: قلت للباقر عليه السلام: قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٤) قال: يعني تأويل القرآن كله إلا الله والراسخون في العلم، فرسول الله صلى الله عليه وآله قد علمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله منزلاً

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٤، ١٠٠

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٧٧-٧٨-٧٩

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧



عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم تأويله؟ فأجابهم الله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ (١)(٢).

وعن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ (٣)(٤) نحن نعلمه.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم، فنحن نعلم تأويله (٥).

علاقة الهرمنيوطيقا بالتأويل

يفسر البعض الهرمنيوطيقا بالتفسير بمعناه القديم الذي استمد الكثير من محدداته وشروطه من علم التأويل بمعناه الديني، الذي استمد جلّ شروطه من مركزية النص المقدّس، ومن تصوّر شائع مؤداه انطواء هذا النص على طبقات متعددة من المعاني والدلالات اللدنيّة، التي لا تكشف عن نفسها للجميع، إلا لمن لديه المعرفة والبصيرة والقدرة ما يتيح له سبر أغوارها، فالهرمنيوطيقا تسمى في بعض الكتابات بعلم التأويل، ويجاول بعض الدارسين ربط التسمية بالأصل اليوناني للكلمة herménēutiké و يترجمها بفن التأويل، تميّزا لها عن التأويل بمعنى interpretation وخصوصاً أنّ كلمة herménēutiké مشتقة من الكلمة الإغريقيّة herménēutika المتضمّنة على كلمة technê التي تُحيل إلى الفن، أو إلى الاستعمال التقني لآليات ووسائل لغوية وغيرها، القصد منها الكشف عن حقيقة شيء ما؛ وعليه فإن كلمة herménēutiké تعني فن تأويل وتفسير وترجمة النصوص، وخاصة النصوص المقدّسة والكتابات اللاهوتيّة كما كان ذلك شائعاً في علم اللاهوت المسيحي.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧

(٢) تفسير العياشي، مصدر سابق، ١ / ٢٩٣، الحديث رقم: ٦٤٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧

(٤) تفسير العياشي، مصدر سابق، ١ / ٢٩٣، الحديث رقم: ٦٤٧.

(٥) المصدر نفسه الحديث ٦٤٨

وبيّن أوغسطين Augustin أن الفكر ينتقل من الدلالة الحرفية والأخلاقية إلى المعنى الروحي ، سواء في فن التأويل اللاهوتي ، أو فن التأويل الإنساني للعصور الحديثة ، يتعلّق الأمر بتأويل صحيح للنصوص واستخلاص معنى تنطوي عليه^(١) .

مما تقدّم يتبيّن أنّ الهرمنيوطيقا هي فن التأويل الذي يسعى للفهم عبر اكتشاف المعاني المنطوية في النص ، والمعبر عنها بالطبقات المتعددة المعاني والدلالات اللدنية ، ولكن عملية الكشف عن تلك المعاني المختبئة في النص تبدأ من الذات .

فالفهم عند غادمر ليس نتيجة تطبيق قواعد ، بل يرتبط بالقدرة على الاستيعاب واستثمار المخزون المعرفي والثقافي في تقويم المعنى المطلوب ، فالفهم يمر عبر قنطرة الذات من أجل إعادة تشكيل معالم الدلالة وفق الأفق الذي يرنو إليه المتلقي^(٢) .

إنّ عملية الفهم عملية مشاركة وجودية تقوم على الجدل بين المتلقي والعمل ؛ ولذا نجد أن غادمر يحاول تحليل بنية الفهم التي لا تقوم خارج الذات ، بل يقوم بها الوعي ، بمعنى إنّ الذي يريد أن يفهم يشكل نوعاً من التصوّر ، ينجزه قبل أن يسقطه على الأشياء ، فهو يتصوّر باستحضار مسبق لمعنى شامل بمجرد ما يظهر المعنى الأصلي الأوّلي للنص ، هذا الحكم المسبق يخضع للمراجعة المستمرة كلّما تقدّم في اختراق المعنى ، وأثناء المراجعة يمكن استحضار معنى جديد وتعويض تصوّر مسبق مناسب ومتلائم^(٣) ، وهذه العملية تسمّى بنشاط التأويل وهو : نشاط مبني بالأساس على ما يعرف بالحلقة التأويلية ، وهي المعروفة بالهرمنيوطيقا بمعرفة الجزء في إطار الكل ، والكل في إطار الجزء حيث يتم عرض الأحكام المسبقة على النص .

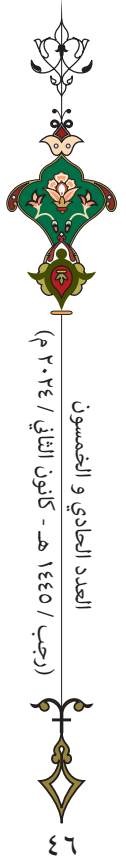
فإننا نجد من كلام غادمر^(٤) ، أنّه في عملية تحليل الفهم ينطلق أولاً من المعنى الظاهري للنص ، ثم يرجع إلى المخزون الذاتي لاكتشاف المعاني الباطنية ، ولا يغفل غادمر إشراك

(١) مدخل الى أسس فن التأويل ، التفكيك وفن التأويل ، غيورغ غادمر ، تقديم محمد شوقي

(٢) الفهم والتأويل والحجاج ، عز العرب لحكيم

(٣) انظر فلسفة التأويل ، ١٢٣-١٢٦

(٤) عندما نتحدّث عن آراء غادمر هذا يعني أننا نتحدّث عن الهرمنيوطيقا الفلسفية



التأريخ في عملية تحليل الفهم ، فهو يعدّ القراءة محاولة للإنصهار بين الماضي والحاضر ،
فالقراءة في الحاضر لا يجوز أن تمنعنا من تمثّل التصرّور المسبق لثقافتنا ، بل علينا أن نجرب
ضمن هذا التقيّد التاريخي محاولة فهم ما الذي يمكنه أن يقدّم جديداً لنص ما قديم (١) .
فالمهمنيوطيقا الفلسفيّة إذن لا تختلف عن التأويل في بعض معانيه ، وهناك من قارب
هذه المعاني من المفسرين أمثال (صدر الدين الشيرازي) فالتأويل عنده : هو تفسير للمعاني
الباطنيّة وفق الرؤيا العرفانيّة التي يوضحها وهي رؤية وجوديّة ، بمعنى أنّها تنبع من
الوجود (٢) .

وينتقد الصوفيّة والفلاسفة بشكل لاذع فيقول : ولا تشتغل أيضا بترّاهات الصوفيّة ،
ولا تركز الى أقاويل المتفلسفة وهم الذين إذا ﴿...جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ
مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٣) . ويعترض كذلك على أصحاب النزعة
اللغويّة في التفسير ويشبههم بقوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فمن لم يطّلع
من القرآن إلّا على تفسير الألفاظ ، وتبيين اللغات ودقائق العربيّة ، والفنون الأدبيّة وعلم
القصاصه والبيان ، وعلم بدائع اللسان ، وهو عند نفسه أنّه من علم التفسير في شيء ، وأنّ
القرآن إنّما أنزل لتحصيل هذه المعارف الجزئيّة فهو أحرى بهذا التمثيل (٤) .

لا يقصد الشيرازي من كلامه المتقدّم التنكّر لدور اللغة وسائر العلوم التي يحتاجها في
التفسير ، على أن لا يقف عند المفسّر ، بل هي أدوات يستعملها المفسّر في حدود الوظيفة
الطبيعيّة لها من حيث أنّها (الخوادم والآلات لما هو بالحقيقة الثمرة والتمام وما به كمال نوع
الإنسان) (٥) .

ونلاحظ أيضاً أنّ الشيرازي يحرص على عدم مخالفة الظاهر ؛ لأنّه طريق العبور الطبيعي

(١) انظر الهرمنيوطيقا وحدود الفهم ، مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية ، بوجاهالة ، المملكة المغربية

(٢) انظر موقف السيد حيدر الأملي من معنى التأويل ، خنجر حمية ، ٧١٠ .

(٣) سورة غافر ، الآية : ٨٣

(٤) تفسير القرآن الكريم ، ملا صدرا ، ٧ / ١٨٥

(٥) تفسير القرآن الكريم ، ملا صدرا ، ١ / ٣٨

• الهرمنيوطيقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... المصباح

للوصول إلى اللباب والباطن ، فالظاهر باب الباطن ، فيقول : ومما يجب أن يُعلم أنّ الذي حصل أو يحصل للعلماء والراسخين والعرفاء المتحقيقين من أسرار القرآن وأغواره ، ليس ممّا يُناقض ظاهر التفسير بل هو إكمال وتتميم له ، ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، وعبور عن عنوانه إلى باطنه وسرّه ، فهذا هو ما نريده بفهم المعاني ، لا ما يُناقض الظاهر كما ارتكب السالكون مسلك الإفراط ، والغلو في التأويل (١) .

ويذهب الشيرازي في معنى التأويل الى أعمق من ذلك ولكن نكتفي بهذا المقدار لنعرف أنّ هذا المعنى للتأويل يقترب كثيرا ممّا ذكره غادمر (٢) الذي يعتقد أنّ معضلة التأويل هي وجوديّة يجب أن تُعطى كل الإهتمام ، غير أنّ اللغة في نهاية المطاف هي الوسيط ونحو من الوجود الذي يكوّن موضوع التأويل ، من هنا تصير معضلة التأويل فهما ، ينصهر فيه المؤؤل والنص ، ويسميه غادمر ب (انصهار الآفاق) كما بيّنا ذلك .

والسؤال الأساسي : هل للهرمنيوطيقا الفلسفية تأثير حقيقي على تأويل القرآن ؟

بعد أن عرفنا أنّ الهرمنيوطيقا الفلسفية هي أحد معاني التأويل ، وخاصة وقد ذكر التأويل في سبع سور من القرآن الكريم ، وكذلك الروايات التي تتحدث بأنّ للقرآن بطنا وغيرها من المضامين المشابهة ، فضلاً عن أنّ القرآن نزل لكل زمان ومكان ، فلا بد من قراءة جديدة تناسب زماننا ، كل ذلك سمح لهم الخوض في هذه التجربة ، فلا نستغرب أن يظهر عدد من المفكرين الذين تصدوا للقراءة الحدائثية للنص القرآني، والتي تبنى أصحابها فلسفات ومذاهب غريبة حديثة حاولوا تطبيقها في تفسير القرآن الكريم متجاوزين الأدوات العلمية المعروفة عند أهل الإختصاص في هذا العلم ، ومن أبرز أسماء هذه المدرسة الذين تعاملوا مباشرة مع الآيات القرآنية : محمد آركون ، ومحمد شحرور ، ونصر حامد ... وغيرهم ، وسوف نعرض عن ذكر تطبيقات لقراءة النص الديني لهؤلاء تجنبا للإطالة التي قد لا تناسب هذه المقالة ، إلا أننا سنذكر بشكل إجمالي سمات هذه القراءة

(١) مفاتيح الغيب ، ملا صدرا ، ٨٢

(٢) انظر فلسفة التأويل عند صدر الدين الشيرازي ، علي أمين جابر ، ١٥٩



الحديثه وفي الخاتمة سنبين آثارها على فهم القرآن .

سمات القراءة الحدائيه للنص القرآني :

أولا : سيادة العقل في العمليّة التأويلية

تعتمد القراءة الحدائية أساسًا على العقل في التعامل مع الآيات القرآنية، بل والرأي المجرد عن الدليل حتى فيما يتعلّق بالحقائق الغيبية ، والقضايا التي وردت فيها أحاديث صحيحة وقطعية الدلالة، وهو الشيء الذي لا يتوافق مع أصول وقواعد تفسير القرآن ، ولهذا فهم يستبعدون السُنّة تمامًا في العملية التفسيرية، ولا يلتفتون مطلقًا إلى الآثار الواردة في التفسير.

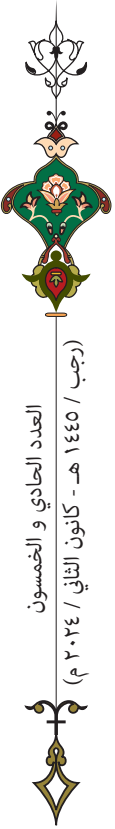
ثانيا : الغموض والتضارب المنهجي

يجمع بين القراءة الحدائية قاسم مشترك هو الغموض ، إذ كان الغموض الفكري والمنهجي والمصطلحي ظاهرة بارزة في هذا الخطاب، حيث اتخذ الإغراب والتعقيد تعويضًا عن الضحالة الفكرية ، والتضارب المنهجي الغالب على هذه الكتابات ، وقد يصل هذا الغموض درجة (الإرهاب المصطلحي) عند بعض الحدائين في تعاملهم مع القرآن الكريم كمحمد شحرور، ومحمد آركون بحيث لا يتردد القارئ في البداية باتهام نفسه بقصور الفهم والاستيعاب، فيصرف كلّ جهده لفك رموز ومغاليق القرآن الكريم ، لكنه لا يلبث طويلاً حتى يكتشف ضحالة المعاني والدلالات، فيكون قد كرس قواه وهث وراء السراب^(١).

ثالثا : انعكاس كل خصائص الهرمنيوطيقا الفلسفية على فهم القرآن

من لا نهائية النص ، وانفتاح دلالته لعدد لانهائي من التفسيرات والتأويلات ، و عدم الإكتراث بقصد المؤلف ؛ لأنّ الغاية من تفسير النص ليس القبض على مراد المؤلف ، فنحن نواجه النص وليس المؤلف ، وما المؤلف إلا أحد قراء النص ، ولا يتميّز عن القراء بشيء، فالقاريء له الحق في الإبداع في قراءته للنص دون سلطة من أحد حتى لو كان

(١) انظر الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" ، ٢٥٠ .



• الهرمنيوطيقا الفلسفية وأثرها في فهم القرآن..... المصباح

المؤلف نفسه ، وأن الفهم المطابق للواقع ، غير ممكن ، لأنّ العنصر الباطني أو ذهنيّة المفسّر ، وقبلياته شرط لحصول الفهم ، هذا وغيره ما يميّز القراءة الحديثة للنص القرآني ، والتي توقع صاحبه في محذور التفسير بالرأي المنهي عنه .

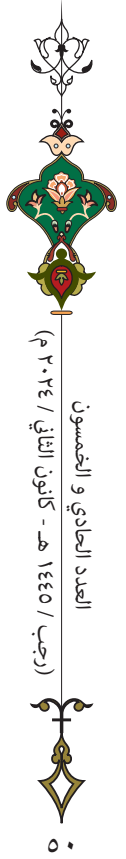
خاتمة البحث

لقد كان للهرمنيوطيقا الفلسفية أثرا واضحا في قراءة النص القرآني ، إثر تبني مجموعة من المفكرين لها كمنهج أو اتجاه لفهم القرآن، ولكن كان لها انعكاسا سلبيا ، يمكننا التوصل إليه عبر مجموعة من النتائج لعل أهمها :

أولا : إنّ الهرمنيوطيقا الفلسفية متمثلة بـ (هايدغر وغادامير) ترى أنّ التفسير الهرمنيوطيقي خلاق دائما ، وإنّ هناك حوارا جدليّا دائما بين المفسّر والنص ؛ لذلك لا يمكن أن تكون هناك حقيقة موضوعية واحدة للنص الذي يمتزج مع أفق المفسّر ، فهناك دائما تفسيرات لا متناهية للنص الواحد .

ثانيا : إنّ الهرمنيوطيقا الفلسفية غير صالحة للتطبيق على النص القرآني الذي يفترض ضرورة وجود الفهم الموضوعي الحقيقي المعين للنص ، والهدف النهائي للمفسّر هو التوصل لقصد المؤلّف ، ويكون ذلك معيارا لتمييز تفسيره عن غيره ، ومن ثم يصبح تطبيق الهرمنيوطيقا على النص القرآني دعوة للشك والنسبية وتعدد الحقيقة بتعدد المفسّرين ، فلم يكن هناك حقيقة واحدة معيّنة وراء النص ، يتسابق المفسّرون للفوز بالوصول إليها ، فلا جدوى من البحث عنها إذا .

ثالثا : بناء على ما سبق يُعدّ التفسير الهرمنيوطيقي من قبيل التفسير بالرأي المذموم حسب قواعد التفسير الإسلامي ؛ لأنّ النص من لدن الله الكامل الذي أرسله للعباد من أجل تكاملهم وسعادتهم ، فإذا ما تم الأخذ بمنهاج الهرمنيوطيقا غير المحدودة للنص المفسر كان هذا تبريرا مشروعا لإعتقادات الهرمنيوطيقيين البعيدة تماما عن روح الدين الحقيقية ، فالنص القرآني متعدد الدلالة وفق ما تقضيه صورة الخطاب وسياقه ومقصده .

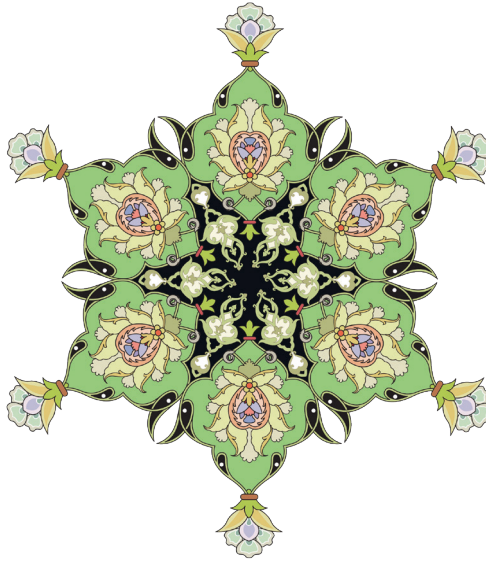


رابعا : إن رفض الهرمنيوطيقا الفلسفية كأداة لتفسير القرآن لا يعني أننا نجمد على الموروث من التفسير ، بل لابد من التفكير والتدبر لفهم ما لم يفهمه السابقون وفق قواعد التفسير الصحيح ، فالقول بأن القرآن أدرك كله في جيل معين فقط يعني محاصرة القرآن وجهوده ، وإلغاء صلاحيته لكل زمان ومكان .

خامسا : القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله لهداية البشر ، وبالتالي لابد من تحري مقاصد الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الهداية منوطة بها لا غيرها من المعاني المختلفة ، وبالتالي يلزم نقض الغرض من إنزال القرآن .

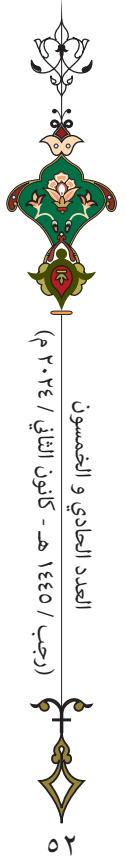
سادسا : يبدو أن الهرمنيوطيقا الفلسفية ملائمة جدا لفهم النصوص الأدبية ، والأعمال الفنية الإبداعية فهي أعمال مفتوحة على جميع التأويلات ، فلا ضير أن تتعدد معاني النصوص ، أو الأعمال الفنية بتعدد القراءات ، بل العكس فهذا إثراء خلّاق للعمل الإبداعي البشري غير المشروط في الأعم الأغلب من تقصي قصد المؤلف ، وهذا هو الحاصل في عمل النقاد لقراءة الأعمال الأدبية والفنية في كل الأزمان .

والحمد لله رب العالمين



المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم .
٢. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي .
٣. تاج العروس ، الزبيدي .
٤. تأويل القرآن النظرية والمعطيات ، كمال الحيدري .
٥. التحقيق في كلمات القرآن .
٦. تفسير العياشي ، العياشي .
٧. تفسير القرآن الكريم ، ملا صدرا .
٨. التفسير الكبير ، ابن تيميّة .
٩. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب .
١٠. در آمدي بر هرمنيوتيك ، احمد واعظي .
١١. ساختار وتأويل منت ، بابك أحمددي .
١٢. سه مقالة در تأريخ تفسير .
١٣. شبهة ورد فهم النص ، السيّد هاشم الهاشمي .
١٤. علم هرمنيوتيك ، ريتشرد بالمر ، ترجمة محمد سعيد كاشاني .
١٥. الفكر الإسلامي نقد واجتهاد .
١٦. فلسفة التأويل عند صدر الدين الشيرازي ، علي أمين جابر .
١٧. الفهم والتأويل والحجاج ، عز العرب لحكيم بناني .



١٨. قراءة النص القرآني على ضوء المنهج الهرمنيوطيقي - نصر حامد أبو زيد انموذجا، بالطري تاج - عباس مصطفى، مجلة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، العدد ٧، ٢٠١٧.
١٩. لسان العرب، ابن منظور .
٢٠. مدخل الى أسس فن التأويل، التفكيك وفن التأويل، غيورغ غادمر، تقديم محمد شوقي.
٢١. المدخل الى تاريخ التفسير والمفسرون .
٢٢. المصباح المنير، مادة فسر.
٢٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس .
٢٤. مفاتيح الغيب، ملا صدرا .
٢٥. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني .
٢٦. مفهوم الهرمنيوطيقا، ماهيته، آلياته، ومذاهبه الفلسفية، صفدر الهي راد، مجلة الاستغراب، العدد ١٩، ١٨ .
٢٧. مقدّمة في الهرمنيوطيقا، ديفيد جاسبر، ترجمة وجيه قانصو .
٢٨. موقف السيد حيدر الآملي من معنى التأويل، خنجر حمية .
٢٩. الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي .
٣٠. هرمنوتيك مدرن، مجموعة من المؤلفين.
٣١. الهرمنيوطيقا وحدود الفهم، مركز الدراسات الإنسانية والاجتماعية، بوجهالة، المملكة المغربية .

